

واقع الكاتب العربي في إسرائيل

بقلم محمود درويش

أيها الاصدقاء المحترمون (x) ..

السرية . ونحن لا نستطيع ، حتى الآن ، ان نمارس
ابسط حقوق الانسان ، اعني حق الانسان في التعرف
الى وطنه .

ان وطننا صغير ، صغير كحذاء طفل ، ونحن
محرومون من حرية ان نراه . ونحن لا نستطيع اللقاء بقرائنا
ان كل شعرائنا وكتابنا خاضعون لاوامر الاقامة الاجبارية
العسكرية التي تمنعهم من مغادرة اماكن سكنهم ،
واحيانا تمنعهم من مغادرة بيوتهم منذ غروب الشمس حتى
شروقها . حتى اشعار الحب ، ايها الاصدقاء ، لا يسمح
لنا بنشرها الا بعدما تمر تحت يد الرقيب العسكري .
ولكن صوت الشاعر .. صوت الحرية .. صوت الارض
لا يمكن ان يجس في زجاجة ، ولا يمكن ان يعصر كما
لا يمكن اعتصار الظل . واصواتنا هي ظل الارض .

ومن هنا ، اقول اني اشعر بالسعادة . لقد كانت
القصيدة بطاقة الى السجن في بلادي ، ولكنها الآن بطاقة
حب الى قلوبكم . ولقد منحتوني من الحب ما يجعلني
اطمئن الى اني سلكت الطريق الصحيح ، ودفعت
الضريبة التي لا بد من دفعها لكي اكون جديرا بضم
صوتي الى نشيدكم الرائع . لا . ليست الجائزة التي
منحتوني اياها امس باقة زهر على قبر ضائع ، ولكنها
باقة زهر ليلاد شعبي المتجدد . لقد قتل شعبي كثيرا .
سنة بعد سنة .. مجزرة وراء مجزرة ، ولكنه دائما
يهب من الانقاص واقفا ، وقد تعلم كيف يمارس حريته
الوحيدة .. حرية اختيار الموت في سبيل الحياة .
والمناضلون - وحدهم - قادرون دائما على تغيير المفاهيم .
وهكذا يصبح مفهوم الموت - مفهوم الحياة .

ونحن جزء من هذا الشعب الذي يخدش وجه
الموت . ان انتماءنا ليس وجهة نظر وليس رأيا للمناقشة .
انه حقيقة تاريخية حاولت الصهيونية - ولا تزال -
تشويهها . ولكن كل محاولات ترويضنا وتدجيننا باءت

اسمحوا لي ان اعلان هنا اني اشعر بالسعادة . اني
اتكلم بصفة شخصية ، ولكنني قد اعبر عن مشاعر زملائي
الكاتب والشعراء العرب المضطهدين في اسرائيل، والذين
يدافعون عن حقهم في التنفس وعن حق شعبيهم في الحياة
.. وظهورهم الى الحائط . ان المعركة التي نخوضها في
بلادنا هي معركة الانسان المسحوق الذي يرفض الاعتراف
بالموت . كل قوى التقدم في العالم تعلن تضامنها مع
الشعوب العربية ، ومن بينها الشعب العربي الفلسطيني،
في كفاحها العادل ضد العدوان الاسرائيلي على اراضيها
وتاريخها وحقوقها . ولكن هذا الرأي العام العالمي لا يعرف
كثيرا عن البقية الباقية من الشعب العربي الفلسطيني التي
تعيش في اسرائيل وتتعرض لمختلف أشكال القهر
والاضطهاد منذ اكثر من عشرين سنة . وانتم تعرفون ،
ايها الاصدقاء ، ان الصهيونية في الممارسة اعتمدت
على شعارين اساسيين لتحقيق اهدافها . هذان الشعاران
هما : احتلال الارض ، واحتلال العمل . وهكذا ، تزواج
منذ البداية جانبا الاضطهاد الذي يتعرض له الانسان
العربي في اسرائيل !

الاضهاد القومي ، والاضطهاد الطبقي

ونحن هنا في مؤتمر كتّاب . وهذا يستدعي مني
ان الفت نظر الكتّاب الاسويين - الافريقيين الى واقع
الكاتب العربي المقيم في اسرائيل ، هذا الكاتب الذي كان
يشعر بالمرارة المشروعة من نجاح السلطة الاسرائيلية في
حصر صوته في مكان ضيق . ان اجمل اعمالنا الادبية
كتبت في السجون .. في السجون السياسية وفي
السجون المعنوية .. في السجون العلنية وفي السجون

(x) كلمة القاها الشاعر في مؤتمر نيودلهي للكتاب الافريقيين

الاسويين .

بالفشل . ونحن نقول دائما ان الموقف الذي تتخذه السلطة الاسرائيلية من المواطن العربي في اسرائيل هو المحسك الحقيقي لنواياها فيما يتعلق بمستقبلها في الشرق العربي . فاذا كانت هذه السلطة قد فشلت في التوصل الى سلام مع العربي المقيم في اسرائيل ، فليس من حقها - خلقيا - ان تتظاهر بالطموح الى السلام مع دول ! . لقد صنعت منا برهانا عميق المنطق والدلالة على حقيقة نواياها .

واننا نشعر بالاهانة لاننا مضطرون الى الاعلان دائما اننا لسنا شوفينيين . هذه هي التهمة التي توجهها الينا السلطة التي تشكل مركز الشوفينية والتعصب القومي في الشرق الاوسط ، واحد مراكز العنصرية في العالم . ان القاتل هنا يتظاهر بالبكاء . وطيارو الغانطوم الذين يقتلون الاطفال العرب ويهدمون المصانع العربية يتظاهرون بالبكاء . وجزالات العدوان يتظاهرون بالبكاء . لقد اصبح التظاهر بالبكاء جواز سفر الحكام الاسرائيليين الى الرأي العام العالمي . ومن المؤسف ، انهم استطاعوا تضليل بعض اوساط هذا الرأي العام فصدقهم . . وصدق انهم يريدون السلام .

ونحن ، لا نبارز هذا الاسلوب الخبيث بالطريقة ذاتها . اننا لا نحتكم الى الاساطير القديمة لنبرر شرعية وجودنا وحقنا . اننا نحتكم الى الواقع والى مبادئ العدل . والحقيقة السهلة هي ان الاديبي العربي في اسرائيل يدافع عن كرامته وعن كرامة شعبه ، ويحافظ على طابعه القومي دون ان يصطدم ذلك مع موقفه الانساني . نحن لسنا مدنيين لاننا نحمل بطاقة هوية اسرائيلية . ان منحنا هذه البطاقة ليس منة وليس صدقة . لقد اخترنا البقاء في وطننا . ومن يسمح لنا بالاستمرار انما يفعل ذلك مرغما . . لاننا صامدون . وهذا وطننا ، لاننا ولدنا فيه . فهل نحن شوفينيون لاننا نريد البقاء في وطننا ؟ وهل نحن شوفينيون لاننا نقول ان السلام والعدوان لا يشكلان معادلة سليمة ؟ وهل نحن شوفينيون اذا قلنا ان السلام مفهوم يختلف عن مفهوم الاستسلام ؟

اننا نؤمن بامكانية ان يعيش العرب واليهود معا ، فالتاريخ العربي لم يعرف العداء لليهود . ولكن لماذا لم تتحقق هذه الامكانية ؟ لان الصهيونية - بمساندة الامبريالية هي التي تريد فلسطين بدون عرب . وهي لا تعترف ، حتى مجرد اعتراف شكلي ، بوجود الشعب العربي الفلسطيني .

لسنا شوفينييين . نحن ضحايا الشوفينية ، ولكننا من الناحية الاخرى لا نأخذ الحكمة من الجلاد الذي كان ضحية النازية ، ولم يتعلم من هذه التجربة القاسية الا تقليد قاتله في قتل الاخرين . وهنا ، اسمحوا لي ان اشيد بمواقف بعض العناصر والقوى الاسرائيلية وعلى

راسها الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، التي تحارب هذه الحكمة القابلة ، وترى ان الاعتراف الصريح والعملي بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره الحر هو وحده الذي سيحرر الشعب اليهودي من كارثة قومية يقوده اليها حكام اسرائيل . ان المصالح الحقيقية للشعوب لا تتناقض ، واذا بدا هنالك تناقض ، فان ذلك يشير الى وجود خطأ فادح . وحكومة اسرائيل ترتكب اخطاء مميتة بحق شعبها قبل كل شيء ، باغتصابها حقوق الاخرين .

هذا هو وجهنا الحقيقي . . هذا هو ضميرنا . واننا نجد في بلادنا صعوبة فائقة في تطهير وجوهنا من الزيف ، ونجد صعوبة في الكلام . ، ولكننا نتكلم وندفع ثمن الكلام . ان اشعار السجون قد وصلت اليكم ، ايها الاصدقاء الاعزاء ، وهذا اللقاء ذو الجمال الالذع يهبنا طاقة هائلة على الصمود ، ويشكل برهانا عميق المنطق والحيوية على هزيمة السلطان امام القصيدة . لقد اعطيتونا فأسا كبيرة فتحنا بها طاقة في الزنزانة التي اصححت عارية امام الشمس والعيون . شكرا لكم ايها الاصدقاء . . اننا اكثر من اصدقاء واكثر من حلفاء . نحن اجزاء تكمل بعضها . وسنشعر بعد الان بمزيد من الثقة ما دمتم معنا . ان عذابنا ليس بلا نتيجة ، واجراسنا ليست مختنقة ما دمتم معنا ، اننا نرحف معكم في كل مكان . . في غابات افريقيا المستيقظة وفي سهوب اسيا المنطلقة . لا اسماء لنا ، وماذا بهم الاسم ! . نحن رموز . . نحن صوت . . نحن قضية . والسكين التي تفوص في لحم واحد منا تثيرنا جميعا . ومن حسن حظنا ان ابناء ثورة اكتوبر معنا . . ابناء الثورة التي غيرت مناخ الكرة الارضية ومزاجها . يسعدنا كثيرا اننا اصدقاء ايها الاصدقاء السوفييت .

ومن حسن حظنا ان اروع الاساطير معنا . اساطير تمشي على اقدام ، اساطير ابطالها بشر . ان الفيتناميين معنا . شكرا لكم ايها الاصدقاء الفيتناميون لانكم اصدقائنا ومن حسن حظنا اننا هنا في ضيافة اصدقائنا الكتاب الهنود على ارض الهند العريقة . . الهند التي تجدد نفسها . . شكرا لكم ، وارجو ان تنقلوا اعمق مشاعر الامتنان الى شعبكم والى رئيسة الوزراء السيدة اللطيفة انديرا غاندي .

ومن حسن حظنا ان كل واحد منكم معنا . . كلنا معنا ونحن بدون اسماء . نحن اوركترا واحدة يعزف كل واحد منا فيها على آلتها الصغيرة ، فلنضع لحمنا على الاوتار . ان صوت اللحم هو الذي يفني !

محمود درويش